Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ١٩١١، ذهب هرمان هيسيه إلى الهند فى رحلة مع أحد أصدقائه الفنانين، وهناك تأثر إلى حد كبير بتعاليم الهنود والصينيين القدماء. وبعد عودته، أصدر كتابا بعنوان «*ملامح من رحلة إلى الهند*». وفى أحد خطاباته يقول هيسيه:

«من بين الذين شاهدتهم فى الهند أناس من الملايو ومن جاوه واليابان والصين. وعن الصينيين لا أجد ما أقوله سوى أعظم الأقوال. إنهم أناس يدفعون المرء إلى احترامهم. أما غالبية الأجناس الأخرى، فهم بقايا أناس من الجنة يثيرون الشفقة، لأن الغرب أفسدهم وابتلعهم. إنهم أناس طيبون، ماهرون وموهوبون، ولكن حضارتنا تدمرهم. ولو أن البيض استطاعوا أن يتحملوا المناخ، وأن يدعوا أطفالهم يترعرعون هنا، لما بقى أحد هنا من الهنود».

وجاء صيف ١٩١٤، الذى اندلعت فيه الحرب العالمية الأولى، وفجأة بدا كل شئ مختلفا فى الداخل والخارج. لقد اتضح أن رفاهية أوروبا لم تكن تعتمد على أسس متينة، ولذلك فقد جاء الآن وقت الاختبار. إن هيسيه لم يستطع أن ينسى لقاء حدث له خلال السنة الأولى من الحرب. يقول هيسيه فى «قصة حياته» عن ذلك اللقاء:

«ذهبت لزيارة مستشفى عسكرى مؤملا أن أجد شيئا مفيدا أستطيع أن أفعله فى تلك الحقبة المضطربة. فى هذا المستشفى الذى كان مخصصا لجرحى الحرب، قابلت فتاة عانسا كانت تعيش قبل الحرب على دخل خاص عيشة مريحة، ولكنها الآن تعمل ممرضة بالمستشفى. قالت لى بحماس مؤثر كم تشعر بالسعادة والفخر لأنه أتيح لها أن تشهد هذه الحقبة العظيمة. كان لها عذرها فى ذلك القول، لأن الحرب غيّرت حياتها الكسول الراكدة وحولتها من عانس أنانية إلى إنسانة نشيطة تؤدى خدمة للآخرين. إلا أنها عندما عبّرت لى عن سعادتها فى عنبر ملىء بالجنود الجرحى والمشوهين والعجزة الذين هم على وشك الموت، شعرت بالغثيان. وبالرغم من أننى فهمت سر حماس الممرضة، إلا أننى لم أستطع أن أشاطرها هذا الحماس.

ومنذ البداية عانيت كثيرا من الحرب، ولمدة سنوات طويلة جاهدت عبثا أن أحمى نفسى من هذه الكارثة التى يبدو أنها سقطت علىّ من سماء صافية، فى حين أن كل الناس من حولى كانوا يشعرون بالحماس والسعادة بسبب هذه الكارثة نفسها. وعندما كنت أقرأ المقالات الصحفية بقلم أشهر الكتاب وهم يعددون مزايا الحرب، وكل أشعار الحرب التى دبجتها يراع أشهر الشعراء، كنت أشعر بالتعاسة أكثر فأكثر. ولمدة أكثر من عشر سنوات، شعرت بأن الضرورة المريرة والواجب الإنسانى يقتضيان أن أرفع صوتى وأكرس قلمى للاحتجاج على الحرب، وعلى غباء الجنس البشرى المتعطش للدماء، والاحتجاج أيضا على المثقفين خاصة الذين كانوا يحبذون الحرب».